

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[492] عز وجلّ (فذلّم القرآن ربكم الحقّ). (1) وتارةً أُخرى يطلق على الاعتقاد الذي يطابق الواقع كما في قوله تعالى: (فهدى القرآن الذين آمنوا لمّا اختلفوا فيه من الحقّ). (2) ومرّةً يقال للقول والعمل الذي يتحقّق في الوقت المناسب كما في قوله تعالى: (حقّ القول منّي لأملئنّ جهنّم). (3) وعلى أيّة الحال فمقابل "الحقّ" الباطل والضلال واللعب وأمثالهما. لكنّ الآية التي نحن بصددّها تشير إلى المعنى الأوّل، وهو إنشاء عالم الخلق. حيث توضّح السّماء والأرض أنّ في الهدف من خلقها الحكمة والنظام والحساب. فإنّ تعالى ليس محتاجاً في خلقها ولا ناقصاً لكي يسدّ نقصه بها، بل هو الغني عن كلّ شيء، وهذا العالم الواسع دار لنمو المخلوقات وتكاملها. ثمّ يضيف: إنّ الدليل في عدم الحاجة إليكم ولا إلى إيمانكم هو: (إنّ يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد). وهذا العمل ليس صعباً عند القرآن (وما ذلك على القرآن بعزیز). والشاهد على هذا القول في سورة النساء (وإنّ تكفروا فإنّ ما في السّموات وما في الأرض وكان القرآن غنيّاً حميداً... إنّ يشأ يذهبكم أيّها الناس ويأت بآخرين وكان القرآن على ذلك قديراً). (4) وهذا التفسير بخصوص الآية أعلاه منقول عن ابن عبّاس. وهناك احتمال آخر، وهو أنّ الجملة أعلاه تشير إلى مسألة المعاد وأنّ القرآن قادراً على أن يفني جميع الناس ويأت بخلق آخر، فهل تشكّون في مسألة المعاد وبعثكم من جديد؟ * * *
